إعجاز القرآن البلاغي
بين اللفـــظ والمعـــنى

د. محمود شاكرعبود الخفاجي
الجامعة الاسلامية / النجف الأشرف

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه المنتجبـــين... وبعد

في هذا البحث الأول عصارة فكر جَمَعَ شتاته، وجهدُ وقتٍ مضى بين أروقة المكتبات يستشف من هذا ويتصفح بحوث ذاك. من أجل التماس قطرة في بحور كتاب ناصح لا يغش وهـــاد لا يضـــل ومحدثٍ لا يكذب.. فالحديث عنه لا يُمَلْ والكتابة في اغواره لا تنفد.. فاخترت منه إعجـــازه الـــذي لا يقف عند حدْ ولا يلمْ به فكر فقد أعجب الجن فقالوا:﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**﴾ وتحدى الإنـــس والجـــن فقال:﴿ **وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ فبقوا حيارى أمامه.. فاخترتُ من أوجه إعجازه أوسعها مطالا وأسبرها غورا.. وقد حاولت حصره بين ألفاظه ومعانيه.. فوجدت له ابعادا لا يلم بهابحث ولا تطويه دفتا رسالة ولا تشمله أوراق أطروحة. فقد ينفذ العمر ولا ابلغ إلا النزر اليسير منه.. فبحره مترامـــي الأطراف، ولا يسبر أغواره إلا مَنْ وُهِب المقدرة على ذلك،. فكنت كلما انتهيتُ مـــن تصـــفح اوراق مرجعٍ وجَبتْ عليَّ مراجعَ أخرْ. واذا بي أقف حائرا بين وقت يضيق وأوراق تنفذ فجاء بحثـــي هـــذا بتمهيد وعنوانات كان لمعجزة القرآن وأوجه إعجازه سهما منها ثم تركزت الدراسة حـــول إعجـــازه البلاغي وموارده وأعطيت لفريق اللفظ وفريق المعنى سهما لكل منهما ثم فصلت القول لفريق اللفـــظ والمعنى كفريقا ثالثا, وقد يشذ ببعض قولي الفكر أويشطح بي القلم احيانا. فأعوذ بـــالله مـــن الأولـــى وأستغفره من الثانية. ولي من محاولتي خير عذير.
والله من وراء القصد.

تمهيد:

نزل القرآن الكريم بين ظهراني قومٍ يلفهم ظلام الجهل من كل حدبٍ وصوب. إلا مـــن بيـــانٍ ألسنتهم الذي يتبارون به. سما الشاعر عندهم حتى أصبحت له منزلة لا تعلوها منزلة ودعوه بلســـان القبيله. تذوقوا القول لفظا ومعنى ونظما, وفضلوا بعضه على بعض وعلقوا ما فضلوه على أقدس مكان عندهم بعد أن كتبوه بماء الذهب ((فكانت القبيلة إذا نبغ فيها الشاعر أتت القبائل فهنأتهـــا، وصـــنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس، وتباشر الرجال والولـــدان لأنـــه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم))(١).

ولقريش ولسانها منزلة كانت تختص بها دون سائر القبائل فكانت العرب تعـــرض أشـــعارها عليها فما قبلته قريش منه كان مقبولا وما ردوه منه كان مردودا(٢).

وكان الشعراء والخطباء والأدباء يتبارون بنتاجهم الادبي بمكة ,فيذاع صـــيته فـــي الجزيـــرة العربية ,لذلك نرى بعضهم يهذب قصائده وينقحها ولا يذيعها إلا بعد عام. ولأولئك الفضل على جميع الأمم في أصناف البلاغة(٣).

وما لبثوا في بلاغتهم تلك حينا من الدهر كلما برز شاعر أو خطيب وعلا نتاجه, لبث فيهم حينا أو بعض حين جاء غيره بما يسمو فوق ذاك ويعلو عليه. وهم في غمرتهم تلك، وإذا بصوت يدوي أرجاء تلك الصحراء, يتحداهم بما برعوا فيه, ويعجزهم عن سنخ ما يحسنون.. جاء به رجل منهم يعرفونه كما يعرفون أنفسهم ,أميٌّ لا يحسن القراءة ولا الكتابة ولا سبق منه إليهم شعر, ولا عرفوه ساحرا, وليس له في الكهانة من شيء. جاءهم بكلام يختلف عن أنماط كلامهم, وتركب من كلمات منتظمة أخرجته عما يطيقونه هم. فلا غرابة في تسميته بالسهل الممتنع كأنه جملة واحدة متسقة المعنى واللفظ. فكان بعضه متعلقا ببعضه الآخر, ويكمل بعضه بعضا.. فان أفردت آياته منقطعة عن الكل فهي كلام كامل لا يحتاج إلى تطويل, وحكمة بالغة لا تنفك من التركيب ,ففي بعض قصصه إطناب وفي الأخرى إيجاز, وكلتاهما تامتا المعنى ومتسقتا اللفظ وآية من آيات النظم والتركيب ,وفي حكمه اشارة وتلويح ,وبمواعظه خفاء وتصريح, ومن الاثنين فيه جمال وروعة ودقة، جاءهم متحديا لهم وكأنه يقول لهم :ها هي ألفاظكم وليس فيها غريب وهاهي معانيكم تخلو من كل دخيل انه ((قرآنا عربيا مبين)) ليس فيه لبس ،فقد جاء بديع النظم عجيب التأليف خارج عن المعهود ,في نظم مباين للمألوف متناه في البلاغة على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص ويتميز في فصوله عن أساليب الكلام المعتاد(٤). فما سمعه ابلغهم حتى قال: ((لا يقوله انس ولا يقوله جان)) فما هو إذن؟!. لا يكون إلا.. قرآنا ﴿ **لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ**﴾(٥).

معجزة القرآن:

اتفق المسلمون وأكثر أهل الأديان والفلاسفة على وجوب بعثة الرسل والأنبياء على الله تعالى من باب لطفه بحكم العقل أو النقل.. ولم يخالف الوجوب العقلي سوى الاشاعرة بحجة أن العقل وحده لا يكفي لإدراك ذلك، وتعمقوا في ذلك حتى وصلوا إلى انه يجوز على الله أن يترك الناس بلا هادٍ ومرشد ويعذبهم بلا بيان وعصيان(٦).

ولا نريد هنا أن نناقش هذه الآراء فندخل في متاهات علم الكلام وجدالات المتكلمين ولكن ثبت بمسائل النقل القطعي الذي لا ينتابه شك بان الله تعالى بعث الأنبياء والرسل لهداية الناس وتقويم سلوكهم ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾(٧). فضلا على انهم أدلاء على أحكامه وتشريعاته تعالى.

ومن لطف الله على عباده لكي لا يكون الباب واسعا للدخول في النبوة وادعائها.. ولكي لا يلتبس على الناس صدق مدعيها من كذبه قرن كل رسول بالمعجزة, والتي قدرها تعالى أن تكون من سنخ ما يعرف الناس في ذلك الوقت ومن جنس ما يحسنون ومن أرقى علومهم وأرقى فنونهم(٨).

فأرسل عيسى (عليه السلام) بالطب والحكمة وأعجز أطباء ذلك العصر وحكمائه فكان معجزة بمولده وكلمهم بالحكمة وهو لم يزل طفلا في المهد...

والطب يقف حائرا بين ولادة من غير زوج وبين رضيع يتكلم ثم إبراء الأكمه والأبرص وكذا إحياء الموتى ، فلذلك عرف أهل الطب إن ذلك خارج إرادة البشر..

ومن قبله موسى(عليه السلام) جاء في وقت وصل فيه السحر قمة عصوره فما أن لقفت عصاه ما يأفك السحرة. ألقى إليه السحرة ساجدين لأنهم اعرف الناس بأنه ــ السحر ــ يُخيل العصا إلى الناس بأفعى. ولكنه لا يستطيع أن يحولها إلى أفعى حقيقية تلقف الحبال فذاك ليس من السحر بشيء.

وجاء رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)برسالته التي هي نفسها معجزته الخالدة.. في وقت وصل البيان أرقى عصوره..

وخص تعالى أمم الأنبياء السابقين بمعجزات مادية،في حين خص تعالى هذه الامة بمعجزات عقلية ، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصّت بالمعجزة العقلية الباقية ليروها ذوو البصائر(٩) ولما شاءت الإرادة الإلهية لهذه الرسالة الخلود والبقاء جاءت معجزتها عقلية، تخاطب العقول بينما كانت المعجزات التي سبقتها تخاطب الحواس فتموت وتتحول إلى أساطير عند الأجيال اللاحقة للجيل الذي شاهدها.

فهو معجزة ما دامت هناك عقول إذ لا يخلو زمان منها.

((فمن هذا وغيره نزل القرآن رحمة لهذه الأمة ليحفظ لها تراثها وليبقي لها لغتها ولمعجزة الإسلام هذه ذاتيها وشخصيتها المستقلة عن الرسول الذي جاء بها ومن هنا كان لهذا البقاء الممتد مع الزمن والمتتابع مع أجيال الناس جيلا بعد جيل، ما دامت الإنسانية تحيى في هذه الحياة، وما دام في الإنسانية من يعرف اللسان العربي ويذوق طعوم اللغة العربية ويميز بين مذاقاتها))(١٠).

أوجه الإعجاز القرآني:

ذكر العلماء الأعلام الذين تحدثوا عن إعجاز القرآن عدة أوجه وقد حاولوا تقصيها في كل سورة وفي كل آية منها:

أولا: عدّوا ((الصدق المطلق المصفى الذي لا تعلق به ذرة من شك أو ارتياب))(١١).. أحد تلك الأوجه التي يعجز الإتيان بمثلها وهذا الصدق الذي نزل به القرآن ((هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... وهو الذي جعل لكلماته هذه الحياة القوية المتمكنة، المتجددة، الخالدة التي لا تنال منها الأيام ولا تنتقص ذرة من كيانها الدهور))(١٢).

ثانيا: علو الجهة التي أنزلت القرآن وجه آخر من إعجازه ذلك العلو الشامخ الذي نراه ((في تمكن القرآن من مكانه وثباته في مكانته التي قام عليها... في علوها وشموخها فلم يتأثر بالأحداث العارضة التي كانت تدور في محيط الدعوة الإسلامية ولم ينفعل بها ولم يستجب لها.. بل كان دائما أبدا حيث هو في علوه وسموه، وسلطانه وقوته.. ينظر إلى الناس والى الحياة من عالٍ دون أن يهتز أو يتأثر بما تهتز له الحياة أو يتأثر به الناس))(١٣).

ثالثا: والوجه الثالث من إعجازه بما يحتويه من علوم ومعارف جاءت به في وقت يخلو من تلك العلوم ولا عهد له بتلك المعارف ومع كون النبي الذي يحمله أميا ((فقد أتى بكتابه من المعارف بما بهر عقول الفلاسفة وأدهش مفكري الشرق والغرب منذ ظهور الاسلام إلى يومنا هذا وسيبقى موضعا لدهشة المفكرين وحيرتهم إلى اليوم الآخر))(١٤) واعتبروه من أعظم نواحي الإعجاز.

رابعا: اما الوجه الرابع فهو في نظام القرآن وتشريعاته(١٥) حيث نزل بقوم لا عهد لهم بالتشريعات والقوانين ولا اتجاه لهم سوى السلب والنهب والخرافات في العقائد والطباع ويفاخرون بالميسر والخمر ويتكابرون بعدد الرقيق.

خامسا: إعجازه في إتقان معانيه فلم يترك القرآن الكريم أمرا إلا بينه أو أشار اليه. في الخلق والخالق وفي ما وراء الطبيعة في الماضي والحاضر والمستقبل وفي العبادات والمعاملات في الحقوق والواجبات ((وقد أتى في جميع ذلك بالحقائق الراهنة، التي لا يتطرق اليها الفساد والنقد في اية جهة من جهاتها... وهذا شيء يمتنع وقوعه عادة من البشر))(١٦) فقد قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾(١٧).

سادسا: في اخباره عن الغيب عما لم يقع بعد... ووقع كما ذكره فعلا كقوله تعالى:﴿ **غُلِبَتْ الرُّومُ *فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾(١٨) وقوله تعالى:﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾(١٩).

سابعا: إعجازه في ما يحتويه من أسرار للخليقة(٢٠) مما لا عهد لهم بها فقد لوح لبعضها بالإشارة وفصل بعضها الآخر،كقوله تعالى:﴿ **وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ**﴾(٢١).أو قوله تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾(٢٢) .

أو بيانه لحركة الأفلاك والأرض وتكوين الليل والنهار وغيرها وقد تقدم العلم والعلوم وأثبتت النظريات العلمية صحة ذلك. وذهب محمد فريد وجدي(٢٣) أن جهة اعجاز القرآن بتلك الروحانية التي يحتويها القرآن وتسيطر على اللب عند قراءته وهي أمر من الله لا يعلم كنهها وروح من الله.

ولم يكن وجدي اول من ذهب إلى هذا كما ادعى عبد الكريم الخطيب(٢٤) ،فهو عيال بهذا على الخطابي (ت٣٨٨هـ) بقوله: ((في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يعرفه إلا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس. فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا. إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه اليه))(٢٥).ولم تقف أوجه الإعجاز القرآني عند هذه فلقد قال ابن سراقة في كتابه الإعجاز بانه قد ((اختلف اهل العلم في وجه اعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه اعجازه جزءا واحدا من عشر معاشره))(٢٦).

وصحيح أن تلك الصورة والأوجه الاعجازية متوافرة في سور القرآن الكريم وتتحداهم بقوله تعالى:﴿ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**﴾(٢٧).

وقوله تعالى: ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾(٢٨) وبهاتين الآيتين تحدى بكل القرآن لكي يكون حاويا بأجمعه كل تلك الأوجه الاعجازية. وبهما أشارة وتلميح إلى تلك الأوجه الاعجازية ولا ضير في اعتبار تلك الأوجه لورودها فعلا في القرآن الكريم، ولا اعتبار لقول من ذهب إلى أنه لا وجه لإعجاز القرآن غير الوجه البلاغي(٢٩).

الإعجاز البلاغي:

كل تلك الوجوه من وجوه الإعجاز جاءت بكلام بليغ وألفاظ سامية ارتفعت فوق كلامهم, وأخرست أمام بيانه ألسنتهم, ومن هذا الباب جاءت شمولية هذا الوجه للأوجه الأخرى.. هذا أولا..

ولكون الله سبحانه وتعالى تحداهم بالإتيان بعدد من السور وذلك بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ**﴾(٣٠)، بل تحداهم في الإتيان بسورة واحدة فقال تعالى:﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾(٣١).

وقوله تعالى:﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾(٣٢)، وتلك الأوجه الاعجازية لا تتوافركلها في كل سورة من سور القرآن.بل تختلف كل سورة بوجه إعجازي عن السورة الأخرى ،ولكن الوجه البلاغي يتوافر في كل سورة من سور القرآن أما ثالثا.. فلقد نزل القرآن في قوم كان أرقى ما عندهم حُسن البيان وروعة اللسان وليس عندهم من العلوم سواه. فقد برعت العرب في البلاغة وامتازت بالفصاحة وبلغت الذروة في فنون الأدب(٣٣).

وما دامت المعجزة هي ما شابهت أرقى فنون العصر(٣٤).. لذلك جاءهم القرآن غير منفك عن فنون بلاغاتهم ولا مختلف عن أوجه فصاحتهم ((فكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أن رصف

القرآن أو نظمه وفصاحته مُتلقى من قبل محمد فإذا تحدّيت بمثل ذلك وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة إن هذا نبي يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به))(٣٥). لذلك عُدّ الوجه البلاغي الوجه الأول والاهم من أوجه الإعجاز القرآني ولكنه ليس بالوجه الوحيد.. وبهذا الوجه يتضح إعجاز القرآن في كل آية من آياته وفي كل لفظة من ألفاظه بل وفي كل حرف من حروفه واظن أن هذا الملحظ هو الذي حدا ببعض الأعلام إلى القول بان القرآن معجزا ببلاغته فقط.

ولربما ذهب بعضهم الآخر على أن وجه الإعجاز البلاغي مختص بالعرب فقط... ولا يختص بالأمم التي لا تعرف العربية لأنها لا تتذوق بلاغتها وأساليب نظمها.

موارد الإعجاز البلاغي:

لما كان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم هو أهم الأوجه الاعجازية له كان لا بدّ لنا أن نشير إلى موضع ذلك الإعجاز وأين يكمن... فلقد ((ورد عليهم أسلوب القرآن يحمل ألفاظهم باعيانها متساوقة فيما ألفوه من طرف الخطاب وألوان المنطق ليس في ذلك إعنات ولا معاياة، غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها. وكلماته في جملها، ونسق هذا الجمل في جملته ما أذهلهم في أنفسهم من هيبة رائعة وروعة مخوفة))(٣٦).

ووقفوا حيارى أمام كل سورة من سوره...؟ اجتمعوا على الإتيان بمثلها وعجزوا واعترفوا بذلك فقال بلغاؤهم: ((ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، أن له لحلاوة وان عليه لطلاوة. وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه))(٣٧) ولجأوا بعد ذلك إلى مقارعته بالسيوف والسنان بدلا من البلاغة والبيان. لأنه لم يكن متعلقا بوجه من وجوه البلاغة ولا قسم من أقسام الفصاحة.. فمن قال باختصار فبالقرآن منه كل أوجهه. ومن أراد الإطناب وجد فيه ضالته..

فمن الاستعارة أوجهها ومن البديع أبدعه ومن السجع أروعه. جاء للكناية نهجا وللمجاز تصويرا ومن التشبيهات ضروبا. بل وأخذت قواعد كل تلك الأبواب منه ورسمت لها كل صفاتها عليه فجاء بشأو من النظم ((ليس له مثال يحتذى به ولا أمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا))(٣٨).

ولا جدال في الإعجاز القرآني من هذا الوجه فقد قامت عليه أدلة قاطعة شهد لها التاريخ منذ نزوله حتى اليوم ولم يزل يتحدى وليس له معارض فقد ((ملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله ومن التقريع بالمعجز عنه وبت الحكم بأنهم لا يستطيعون ولا يقدرون عليه، واذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكوا في عجزهم عن معارضته والإتيان بمثله ولم تحدثهم أنفسهم بان لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه))(٣٩).

وإنما وقع الجدال في هذا الوجه من الإعجاز.. في أسراره ووجوه تلك الأسرار حيث أن الأمر لا يقع موقع المشاهدة والحس وإنما هو حقيقته مضمرة في كلمات القرآن وآياته.. والكشف عنها ليس مما يتيسر لكل طالب. إذ لا بدّ لمن يريد شيئا من هذا أن يكون على علم بمقاييس البلاغة وموازين الفصاحة وان يكون مع هذا ذا احساس فني يمكنه على تذوق الكلام والتفريق بين أجناسه... لأن القرآن جاء بالكمال اللغوي والكمال البلاغي بكل صنوفهما وبجميع معاييرهما فقد علا لفظه فوق كل لفظ وأحكم معناه على كل معنى.. فلو أفردنا مفرداته واحدة واحدة وألفاظه لفظة لفظة وجدناه معجزا باستعمالها ولو جمعناها إلى بعض وجدناها هي الاخرى أية في التصوير وضرب من ضروب السحر البياني..

فلقد ((جمع في أسلوبه أرقى ما تحس به الفطرة اللغوية من أوضاع البيان ومذاهب النفس اليه ــ وبهذا ــ أحسوا بعجزهم عما امتنع مما قبله وكان كل أمرئ منهم كأنما يحمل في قرارة نفسه برهان الإعجاز وان حمل كل افكٍ وزور على طرف لسانه))(٤٠).

ولما كان هذا القرآن بهذه المنزلة فلقد كان من البديهي أن يبحث المناوؤن عن منافذ يحسبونها في نظرهم القاصر طعون وهفوات وقد ((اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة وأبصار عليلة ونظر مدخول فحرفوا الكلم عن مواضعه وعدلوه عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر والحدث الفر وعرضت بالشبه في القلوب وقدحت الشكوك في الصدور))(٤١).

وعلى هذا كان لا بدّ لأعلام المسلمين ومفكريهم أن يدافعوا عن كتابهم الأعظم فبدأوا يثبتون إعجازه لكي يثبتوا صدوره من الله تعالى فذهب كل منهم على طريق يثوّر به آيات القرآن الكريم يبين إعجازه ولما كان البيان احد تلك الأوجه بل وأهمها فمن البديهي أن تفترق آراء أولئك العلماء إلى مذاهب شتى إذ ينظر كل منهم إلى جانب منه قد يخفى على الآخر بينما ينظر الثاني الى الجانب الآخر.

وأكاد ألخص مجمل الآراء التي قيلت حول تلك المسألة بما يسمح به وقتي في هذا البحث وبما تسعه وريقاته تلك... مكتفيا بالإشارة والتلميح دون الإسهاب والتوضيح..

فقد ذهب النظام(٤٢) والمرتضى(٤٣) (ت٤٣٦هـ) وابن سنان الخفاجي(٤٤) (ت٤٦٦هـ) إلى أن الله قد صرف العرب عن الإتيان بمثل سور القرآن الكريم في حين قسم الرماني(٤٥) (ت٣٨٦هـ) الكلام من حيث بلاغته على ثلاث طبقات طبقة عليا، وطبقة دنيا، وطبقة وسطى تقع بين الأولى والثانية واعتبر كلام الطبقة العليا هو الكلام المعجز ومنه بلاغة القرآن الكريم وما كان دونها فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس ثم قسم البلاغة إلى عشرة أقسام وذكر أن في القرآن كل تلك الأقسام وأعلاها صورة.والكلام غير دقيق لمن يقول :

((لم يصدر الرماني ــ في كتابه الإعجاز ــ رأي مبتكر ولا استشفاف أدق لأسلوب القرآن))(٤٦). في حين ذهب أبو هلال العسكري(٤٧)(ت٣٩٥هـ) إلى أن الإعجاز قائم على البلاغة وكل غافل عن البلاغة عنده لا يعلم من إعجاز القرآن شيئا.

وقيل أن الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ((جمع في كتابه الكثير من المباحث البلاغية القرآنية ولكنه ــ على سعته وشموله ــ لا يصور إلا الفكرة السائدة عن الإعجاز في عصره ممزوجة بالمسائل الكلامية الكثيرة التي تفقد الكتاب سماته في استقصاء الجمال الفني في القرآن))(٤٨).

ولكن الحق أن كل هؤلاء ومن سبقهم ((قاموا بمحاولات مضنية لإبراز البلاغة القرآنية في صورة موحية ذات ظلال. ولكنهم وقفوا غالبا عند النص الواحد فاقتطعوه اقتطاعا من الوحدة القرآنية الكبرى ودرسوه على حده دراسة تحليلية جزئية ذهبت بمعالم جمالها))(٤٩).

وبالرغم من أنّ الأسباب التي دعتهم إلى البحث في البلاغة من حيث ألفاظها أو معانيها هو الدفاع عن القرآن وبيان إعجازه وإثبات ذلك الإعجاز. وقد سموا بذلك عناوين مؤلفاتهم التي ألفوها ولكننا نرى استشهادهم بالشعر العربي ونقده ومميزاته أكثر بكثير من الحديث حول آيات القرآن أو توضيح أوجهها البلاغية فلعلهم هم الآخرون عجزوا عن الإلمام بتلك الأوجه٠

ومع كل هذا وذاك فقد تقاسم النظرة إلى حسن البيان أربعة فرق هي(٥٠):

١. فريق ذهب إلى اللفظ وقد مثله الجاحظ وأبو هلال العسكري.
٢. فريق المعنى وقد مثله أبو عمرو الشيباني والآمدي(٥١).
٣. فريق اللفظ والمعنى وقد مثله ابن قتيبة وقدامة بن جعفر وابن رشيق القيرواني وابن الاثير.
٤. فريق جرد اللفظ والمعنى وقال بالعلاقة القائمة بينهما ويمثله عبد القاهر الجرجاني.

١ــ فريق اللفظ:

ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن بلاغة الكلام وحسن بيانه تكمن وراء ألفاظه ،باختيارها وتزويقها وموسيقى صوتها في ترتيب حروفها فأبدعها لفظا ابلغها بيانا والخطيب أو الشاعر المفلق من اختار ألفاظا تخلو من الغرابة والوحشة لأنهم ((يرون أن الفنية في الأعمال الأدبية انما مظهر الاقتدار على تخير الألفاظ ونظمها على طريقة تبرز المعاني التي تعبر عنها وتوضحها وتجملها حتى نصبح من الآثار الفنية التي يعتد بها الناس ويعترفون لصاحبها بالتمكن من اللغة التي ألف بها أدبة وعبر بها عن عواطفه وآماله))(٥٢).

فان كل لفظة تختلف عن الأخرى بخاصية تتميز بها في معناها في حالة ترادفهما. فقد قال خالد بن صفوان ((ابلغ ما لا يحتاج إلى كلام وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخدج الذي صحت مبانيه وحسنت معانيه ودار على السن القائلين وخف على اذان السامعين ويزداد حسا على مر السنين بتجلية الرواة وتنقية السراة))(٥٣).

ورائد هذه المدرسة هو الجاحظ(٥٤) فقد عرف بتأكيده على اللفظ دون المعنى. من عنصري البلاغة تأكيدا بالغ فيه كثيرا فاعتبره الباحثون زعيما لمدرسة اللفظ البلاغية وقطبا من أقطابها البارزين وجل أولئك الباحثين قد اعتمدوا على قول الجاحظ: ((بان المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة النماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير)) (٥٥).

ويرون بهذا أن((البلاغة عند الجاحظ في حسن اللفظ دون المعنى. وللمعاني عند الجاحظ أحكام تختلف عن أحكام الألفاظ بكون المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية بينما المعاني عنده مقصورة ومحصلة محدودة))(٥٦).

فان لكل قوم ((ألفاظ حظيت عندهم. وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور وكل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون لا بدّ أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بأعيانها ليديرها في كلامه وان كان واسع العلم عزيز المعاني))(٥٧).

وما أميل إليه أن الجاحظ لم يهمل المعاني في صياغة الكلام عندما يوصف بالبلاغة أو البيان فاللفظة المفردة لا يمكن أن تكون بليغة إن انفصلت عن سابقتها وما تلحق بها وإنما تكون اللفظة فصيحة تمييزا لها من الألفاظ السوقية... فالجاحظ اعطى أهمية للألفاظ أكثر من المعاني. لأن الناس يختلفون بكيفية وصول مرادهم من الكلام معناه إلى أفهام الناس. فمنهم من اختار الإسهاب ومنهم من تخيّر الإيجاز.

وتأتي بلاغة المتكلم هنا باختياره الألفاظ المناسبة الجميلة واخصرها عددا وأوفرها معنى، فالجاحظ ((لا يرجع المزية إلى العلم بمعاني الألفاظ لأن العلم بها مشترك بين عامة الناس وخاصتهم، ولكنه حين يعول على الألفاظ في البلاغة لم يكن يومي إلى الألفاظ من حيث هي الألفاظ لها حركاتها وسكناتها وأوزانها ولكن من حيث ارتباطها مع أخواتها فتكون وحدة متلائمة يتصل بعضها ببعض في تركيب سوي نطلق عليه كلمة النظم والصياغة))(٥٨).

وفي هذا إشارة إلى أن الجاحظ قصد النظم في الكلام ولم يقصد اللفظ المفردة وقد نوه إلى رأي بشر ابن المعتمر (ت٢١٠هـ) من قبله بان بلاغة الكلام بحلاوة اللفظ وحسن المعنى(٥٩).وقد ألف الجاحظ كتابا خاصا اسماه (نظم القرآن) كما أشار اليه في غضون كلامه ولم يصل الينا...

وفي هذا السياق أيضا رأي بعضهم أن الجاحظ يقصد بالنظم في الكلام وليس اللفظة المفردة(٦٠).

كما وضع الباحثون أيضا ابا هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في رواد مدرسة اللفظ واستند جلهم إلى قوله: ((ليس الشأن في ايراد المعاني لأن المعاني يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي، وانما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه وكثرة حلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب والخلو من اود النظم والتأليف وليس بطلب المعنى إلا أن يكون صوابا ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت))(٦١).

ومن هذا عدّوه قد وافق الجاحظ في نصرة الألفاظ،ولكن ابا هلال كالجاحظ لم يقصد اللفظ وحده من دون المعنى،ولكنه جعلهما معا وبصراحة أكثر مما قاله الجاحظ، فما أظنه يقصد بقوله:((مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف))،إلا نظرية النظم التي صقلها بعدهم عبد القاهر الجرجاني ،فعند العكسري((الكلام ألفاظ تستمل على معانٍ يعبر عنها،فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ، لأن المدار بعد على اصابته المعنى ولأن المعاني تحلّ من الكلام محل الابدان والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة ومرتبطة أحدهما على الأخرى))(٦٢).

فأي صراحة ــ بعد تلك ــ تدل على من وسموهم برواد مدرسة اللفظ وهم القائلون بنظم الكلام لفظا ومعنى. وأظن أن مراد الجاحظ والعسكري في تحسين اللفظ كي يدل على المعنى الأصح اثناء الاستعمال فالمعلوم من ألفاظ اللغة العربية في أثناء استعمالها انها تدل على معنى يختلف عن الآخر فيما إذا انفردت عن الاستعمال، فان استعملت بمكان اللفظة المراد بناء المعنى عليها لفظة اخرى مرادفة لمعناها فقد فسد المعنى المراد، فان كانا يريدان الألفاظ المفردة ــ ولا اظنهما كذلك ــ ((فتلك ليس لأحد، والمحدثْ فيها والمتقدم واحد. وان كانا يردان الألفاظ المؤلفة ، ونرى أن مرادهما هو هذا ــ فان المحدثين إذا أخذوا ألفاظا قد ألفها ناظم قبلهم لم يؤثر فيها أخذهم لها حتى يقال: إنها في شعر الاول أحسن منها في شعر الآخر))(٦٣).

فمثلا روي أن رجلا انشد ابن هرمة بيته هذا:

((بالله ربك أن دخلت فقل لها هذا ابن هرمة قائما بالبابِ

فقال الرجل: ما كذا قلت، أكنت أتصدق.

قال الرجل: فماذا.

قال: واقفا. ثم قال له: ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى وكان اعتراض ابن هرمة على كلمة ــ قائما بالباب ــ وهذا يعني التصدق والمقام كلمة واقفا ــ أصح هنا. لأنه لم يكن يقصد التصدق وانما يقصد الانتظار وبين الأول والثاني بُعد المشرقين.

في حين لو أفردنا لفظة ــ واقفا ــ ولفظة ــ قائما ــ من دون الاستعمال لدلتا على معنى واحد... وأظن إنهما ــ الجاحظ والعسكري ــ إنما تكلما حول اللفظ لأنهم من المذهب الذي يذهب باعتداد قوة الرصف في اللفظ وجزالته وضخامته مقابل المذهب الذاهب إلى اقتراب الكلام من لغة الشعب اليومية))(٦٤).

وفي هذا الشأن روي أن مسلم بن الوليد قال لأبي العتاهية: والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك:

الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

لبيك أن الملك لك

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت، ولكني أقول:

موفٍ على مُهجٍ في يوم ذي رَهَجٍ كأنه أجلٌ يسعى إلى أمَلِ

وبعد هذه الجولة في اللفظ لا يمكن عدّ بلاغة القول من ألفاظه مفردة قائمة وحدها ((فالفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني فلا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة. وان قيل فيها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغ))(٦٥).

ولا يمكن أن يكون الإعجاز القرآني بألفاظه المفردة ولو انها ارتفعت وسمت ولكنها متوافرة قبل نزول القرآن ومستعملة في كلام العرب وأشعارهم واستعمالها في القرآن اعجزهم عن الإتيان بذلك الاستعمال لتلك الألفاظ.

٢ــ فريق المعنى:

ذهب فريق من البلاغيين إلى أن بلاغة الكلم تتوافر في المعنى من دون اللفظ٠ وابرز من مثل ذلك أبو عمرو الشيباني والآمدي(٦٦) وكان نظر هذا الفريق من أهل البيان إلى المعاني بانها هي الأصل والصياغةوالألفاظ، انما هي تبعٌ لها. بعكس الفريق الأول وقد تعصب كل فريق إلى رأيه حتى اطلق عليها بعض الباحثين بالمعركة أو المشكلة...

وذهب بعضهم(٦٧) إلى أن ابن جني (ت٣٢٩هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) هما رواد هذا الرأي ومن المدافعين عن المعنى والمتعصبين له.

فقد عقد ابن جني بابا خاصا في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ، وإغفالها المعاني(٦٨).

كما ((كان عبد القاهر الجرجاني أكثر البلاغين تحمسا لإكبار أمر المعنى وأكثرهم تحيفا لأمر اللفظ. لقد اطلع بالموضوع من كونه يتعلق في مسألة يكون الحديث فيها أمرا أدبيا وفنيا إلى مسألة يكون الحديث فيها أمرا دينيا يتعلق بالايمان والعقيدة بحيث ربط المسألة بإعجاز القرآن ورأى أن إعجازه بمعانيه لا بألفاظه وادعى بان الذين ذهبوا إلى أهمية اللفظ ورجحانه على المعنى انما ضلوا طريق الإعجاز وقصروا في امر دينهم))(٦٩).

ويرى الدكتور جميل سعيد أن ابن جني والجرجاني قد تناول كل منهما جانبا من الموضوع وكأنهما على اتفاق مسبق على هذا. فقد تناول ابن جني معاني الألفاظ لفظة، لفظة وحرف حرف.. في حين تناول الجرجاني الكلام الأدبي في جملته وفي مجموعه.

ولكن لوعدنا إلى آراء ابن جني وعبد القاهر الجرجاني لوجدناهما لم يفصلا بين اللفظ والمعنى ولم يذهبا إلى أن بلاغة الكلام تكمن في معناه دون لفظه. ولكن ابن جني يرى الاهتمام بالمعاني من خلال الألفاظ المتساوقة في الكلام لأن المعاني ــ عنده ــ أشرف من الألفاظ. وهذه الألفاظ ما هي إلا خدم للمعاني لتوضيحها وكشف اسرارها.

((فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وأرهفوها، فلا ترين أن العناية إذ ذاك انما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني))(٧٠).

((وبهذا نلاحظ أن تحسين الألفاظ عنده إنما يكون لتحسين المعاني فجمع الحسنين في الكلام فان العناية باللفظ عنده لازمة. وبدون الألفاظ لا يمكن إبراز المعنى وتوضيحه وإصلاح الألفاظ وتهذيبها ومراعاتها أمر يحتـّمه التعبير لأن الألفاظ عنوان المعاني وكالوعاء لها وإصلاح الوعاء وتحسينه قصد به الاحتياط لما أودع به والحفاظ عليه حتى لا يطرأ عليه ما يكرره))(٧١).

ويستشهد ابن جني بأبيات من أشعار العرب ذات ألفاظ عليا صقيلة وهي تحمل بين طياتها معاني شريفة رفيعة في حين عد غيره تلك الأبيات من التي لا تحمل إلا معنى عابرا فيقول ابن جني في ذلك: ((ولا أرى ما رآه القوم منه، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر وخفاء غرض الناطق))(٧٢).

أما عبد القاهر الجرجاني فأظن أن من قال بأنه يذهب إلى تفضيل المعنى استند إلى قوله: ((لا يكون لأحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها ومن انكاره مذهب مدرسة اللفظ ونقده لآراء روادها واعتبار تلك الآراء خطأ والقول بها يؤدي بصاحبها إلى إنكار إعجاز القرآن من حيث لا يشعر))(٧٣).

ولنا وقفة مع عبد القاهر الجرجاني وما يقرره تثبت أنه لا يذهب إلى هذا الرأي وليس هو ولا ابن جني من هذا الفريق. ولا يمكن قياس الإعجاز القرآني ــ على ما أراه في نظري القاصر ــ من خلال ما أراه من معنى فقط دون النظر إلى تساوق ألفاظه ودقة نظمه واسلوب طرحه فرب خطيبين اراد أن يُفهما الناس بمقصود واحد فاذا أخذنا المعنى بشكل منفرد فلا يصح لنا أن نقول بان أحدهما ابلغ من الآخر.

فلنأخذ مثلا الايجاز في الكلام ومكانته المرموقة في تقييم النص فلقد قيل ((خير الكلام ما قل ودل)).

((وقيل لبعضهم: لم لا تطيل الشعر؟

ــ فقال: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

ــ وقيل لآخر: فقال: ليست ابيعه مذارعة.

ــ وقيل للفرزدق: ما جرك إلى القصائد القصار بعد الطوال؟

ــ فقال: لأنها في الإذن أولج وبالأفواه اعلق.

ولأن الكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال وصار سببا للملال فذلك هو الهذر والإسهاب والخطأ وهو معيب عند كل لبيب))(٧٤).

واذا كان هذا شأن الايجازالذي لا يكون إلا بالألفاظ دون المعاني فمعنى ذلك انه كلما كانت الألفاظ قليلة وتضم بين طياتها معاني كثيرة كان الكلام ابلغ. ومن هنا لا يكون للمعنى المتفرّد أي اثر إذا لم يساق بألفاظ لها وقع على النفس وتدل على المراد.

فلو تصفحنا بعض آيات القرآن الكريم في هذا الباب لوجدنا انه اكتفى بألفاظ قليلة منمقة مختارة تدل على معانٍ كثيرة واسعة مختارة هي الاخرى ففي قوله تعالى:**﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾** يدخل فيها العدل والمساواة وألفاظه خير من قولهم: (القتل انفي للقتل)) وأعم منه وأشمل لأنه يشمل القصاص في القتل والجروح والضرب ويختص بالقصاص لأهل العقل والبصيرة ليخرج المجنون والطفل والحيوان وقال الجاحظ(٧٥) عن قوله تعالى:**﴿ لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ﴾** بان هاتين الكلمتين قد جمعتا جميع عيوب اهل الدنيا.

وفي قوله تعالى:**﴿ لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾** جمع جميع تلك المعاني. وكذلك اوجه الحذف فهي كثير في آيات القرآن الكريم فقد استغنى القرآن الكريم عن الكلمة والكلمتين ولم يختل المعنى ولم يفسده بل زاد اللفظ نغما ووقعا اكثر.

وان ((للمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي لها كالمعرض للجارية الحسنا التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون البعض))(٧٦).

ولو سلمنا أن البلاغة تكمن في المعنى وحده دون اللفظ ودون تنسيق كلماته بالتقديم أو التأخير والاختصار أو الحذف.لقد قارب بعض أمثال العرب بالمعنى لبعض آيات القرآن الكريم(٧٧). وبعض

ما جاء بكتب العهدين. وقد اورد الشيخ البهائي في كتابه (اسرار البلاغة) فصلا بعنوان (فيما ورد من كتاب الله مناسبا لكلام العرب)(٧٨).

فهل يكون ذلك معجزا؟! لا يمكن أن يكون كذلك لأنه ((ليس هناك موازنة منطقية بين النص الاعجازي المتمثل في القرآن وبين نصوص لم يقم دليل علمي أو إقناعي ــ في الأقل ــ على سلامتها من الشك والتحريف والانتحال))(٧٩).

حتى لو قام دليل علمي أو اقناعي على سلامة تلك الأمثال والنصوص بأنها وردت اصلا وأنها سبقت القرآن بالمعنى فاللفظ القرآني وعموم معناه وشموله وتنسيق كلماته وقع يختلف عما جاء بتلك الامثال وان تقارب معناها.

٣ــ فريق اللفظ والمعنى:

وقد فصل الاستاذ الدكتور محمد حسين الصغير(٨٠) هذا الفريق إلى فريقين الاول فريق اللفظ والمعنى وهو الفريق الذي ينظر إلى النص الادبي من الجانبين ويمثله ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وقدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ). والثاني الفريق الذي لم يفصل بين اللفظ والمعنى وينظر إلى النص الأدبي كوحدة قائمة ويمثله ابن رشيق القيرواني(٤٥٦هـ) وابن الأثير.

ورأيت هنا أن امزجهما بفريق واحد ما دام كلا الفريقين لا ينفرد باللفظ وحده ولا بالمعنى وحده ولكن تناول اصحاب الفريق الأول النص مفككا كل على حدة ليصلوا اخيرا إلى النص جملة واختصر الفريق الثاني الطريق فنظروا إلى النص نظرة واحدة. فأعدا فريقا واحدا لأنهما ذوا غاية واحدة ولكن اختلفت وسيلتهما للوصول إلى تلك الغاية.

فذهب بشر بن المعتمر إلى أن بلاغة النص ما كان لفظه رشيقا عذبا ومعناه ظاهرا مكشوفا(٨١).

وساوى ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) بين اللفظ والمعنى بتقسيمه الكلام إلى اربعة اضرب وهي:

الأول: ما حسن لفظه وجاد معناه(٨٢).

ومثله بقول الفرزدق:

في كفه خيزران ريحه عبق من كف اروع في عرنينه شممُ
يغضي حياءً ويُغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسمُ

الثاني: ما حسن لفظه وحلا ولا طائل له من المعنى:

ومثل له بقول جرير:

إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له وهن اضعف خلق الله انسانا

الثالث: ما جاد معناه وقصرت ألفاظه:

ومثل له بقول الفرزدق:

والشيب ينهض في الشباب كأنهُ ليل يصبح لجانبيه نهارُ

الرابع: ما تأخر لفظه وتأخر معناه:

ومثل له في قول الأعشى:

وفوها كاقامي غذاه دائم العطل كما شيب براح نادر من عسل النحل

ووافقه قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) على ذلك(٨٣).

وذهب إلى هذا ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ومثل بان اللفظ جسم والمعنى روح ذلك الجسم ولا يمكن فصل الروح عن الجسم(٨٤) ومن رواد هذا الرأي ايضا علي بن عيسى الرماني فعنده ((البلاغة ليست في افهام المعنى، لأنه يفهم المعنى متكلمان احدهما بليغ، والآخر عيّ ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستنكر ونافر متكلف))(٨٥).

ويرى ابن قتيبة أن هناك دواعٍ تؤثر في الشعر وتلعب دورا هاما في بلاغة النص الأدبي من حيث اختيار ألفاظه أو معانيه كدواعي الغضب والطمع والرثاء والمديح والشرب والطرب والأوقات(٨٦).

وعلى هذا الرأي يترفع النص القرآني عن تلك التأثيرات أو الدواعي، فألفاظه سمت وتواشجت مع معانيها في كل قصد من مقاصده وفي كل آية من آياته فهو ينتقل من موضوع إلى موضوع ومن غاية إلى غاية بآياته وإرشاداته فمن أحكامه إلى قصصه ومن الفلسفة إلى الأدب بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى يمدح هؤلاء ويمنيهم ويذم اولئك ويتوعدهم وقد جمع فيه من كل مثل ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾(٨٧) وقد عجز أولئك عن هذا الكلام وأصبحت حقيقة ودراية ثابتة لا مجرد رواية قابلة للنقص أو الإبرام ولذلك نعتوه بالسحر﴿ **أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ**﴾(٨٨).

((ووجه إعجاز القرآن أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطة أي لفظة تصلح أن تبين الآيتين المعنى بعد المعنى))(٨٩).

فيتكلم في المقصد الواحد ثم يعود اليه مرة أخر يتفنن في عباراته وينوع في ألفاظه يطنب حينا ويوجز أحيانا وهو في كل هذه الأمور معجزا يتحدى... ولو أن آراء هذا الفريق كانت أكثر دقة وإحاطة من فريق اللفظ وحده أو المعنى وحده لكنهم ((لم يفرغوا من التفريق أو التوفيق بين اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون أو الصورة والمادة للوصول إلى مقياس فني يعتمد عليه في التمييز بين أساليب الكلام الجمالية، وفي الرجوع بذلك المقياس إلى الصيغة والتركيب أو إلى المادة والمضمون أو إليهما معا))(٩٠).

فلذلك جاء الفريق الرابع الذي أخذ ينظر إلى النص الأدبي وكأنه نسيج وحده حروفا وألفاظا وتراكيب واسلوبا ونظم.

٤ـ فريق النظم:

ورواد هذا الفريق أخذوا ينظرون إلى النص الأدبي بما هو نص متواشجة ألفاظه مع معانيه بأسلوبه ونظمه من خلال صورة النص الفنية التي هي: ((عبارة عن العلاقات القائمة بين اللفظ والمعنى في النص والحصيلة الناجمة عن افتراقهما منفصلين، وهي امتداد لهما مجتمعين، فليست هي اللفظ بمفرده شكلا فارغا رنانا، ولا المعنى بذاته مضمونا ذهنيا مجردا، ولكنها الخصائص المشتركة بينهما. والتي تقوم بها شخصية النص الادبي. وتتميز عن غيرها من النصوص بما تحمله من أحاسيس وانفعالات قد لا يوحي بها ظاهر اللفظ، ولا يحققها مجرد المعنى ولكنها مزيج بين دلالة اللفظ وإيحائية المعنى في تحقيق نموذج أدبي أو تمييز نص عن نص بما تضيفه صياغة الشكل في علاقاته الاستعارية، وما تمليه خصائص المعنى في تأثيره وإحساسه))(٩١).

ومن رواد هذا الفريق عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) الذي حاول أن يصقل آراء السابقين ويبلورها ويكشف وجه الإعجاز القرآني ولو أن بعضهم(٩٢) اعتبره مبتكرا لهذه النظرية التي أسموها بنظرية النظم.

١ــ لكن الدكتور احمد مطلوب(٩٣) ذهب إلى أن اول من اشار اليها في البلاغة العربية ابــن المقفــع (ت١٤٣هــ) وأخذ البلاغيون هذه الفكرة منه من غير أن يشيروا اليه.

٢ــ كذلك سيبويه (ت١٨٠هــ) ذهب إلى القول بنظرية النظم وقد اهتدى عبد القاهر بارائه وطورهــا وصاغها(٩٤).

٣ــ وتطرق الجاحظ (ت٢٥٥هــ) الذي وضعه البعض ــ كما اشرنا ــ ضمن مدرســة اللفــظ إلــى نظرية النظم(٩٥) وألف كتابا في نظم القرآن.

فمن اقوال الجاحظ قوله: ((في كتابنا المنزل الذي يدل على انه صدق، نظمه البديع الــذي لا يقدر))(٩٦).

ومنهم أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هــ) في كتابه البلاغة وكذلك أبو عبد الله محمد بــن يزيــد الواسطي (ت٣٠٦هــ) له كتاب في إعجاز القرآن سماه (اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) وقد شــرحه عبد القاهر مرتين(٩٧).

ومن الذين سبقوا عبد القاهر إلى القول بالنظم المفسر الكبير الطبري (ت٣١٠هــ) بقوله: ((من أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب ووصفه الغريب وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظمه مثل اصغر سوره الخطباء وكلت عن وصف شكله البلغاء وتحيرت في تأليفــه الشعراء)).

وذهب إلى نظرية النظم أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هــ)(٩٨). ويرى سليمان بن حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت٣٨٨هــ) بان القرآن: ((انما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا اصح المعاني)) وقال: ((ولا ترى نظما أحســن تأليفــا واشــد تلاؤما وتشاكلا من نظمه)) وقوله: ((لفظ حاملا ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم))(٩٩).

وكذلك أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هــ) الذي وضعوه هو الاخر ضمن رواد مدرســة اللفــظ نادى بالنظم فهو يرى إن: ((الألفاظ أجسادا، والمعاني أرواح وانما تراها بعيون القلوب، فــاذا قــدمت منها مؤخرا، وأخرت منها مقدما افسدت الصورة وميّزت المعنى، كما لو حوّل رأس إلى موضع يــد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية))(١٠٠).

ويرى أيضا ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هــ) إن: ((نظم القرآن على تصــرف وجوهه وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله اسلوب يختص به ويتميز به في تصرفه عن اساليب الكلام المعهود))(١٠١).

اما القاضي عبد الجبار الاسترابادي (ت٤١٥هــ) فقد كان أكثر وضوحا من سابقيه في نظــم الكلمات وحسنه وعذبه القول(١٠٢).

هؤلاء اشهر من ذهب إلى أن الإعجاز القرآني يكمن في نظمه وأسلوبه ولا نريد أن نجحــف عبد القاهر حقه فنقول: ((إن عبد القاهر لم يضف إلى مفهوم النظم شيئا جديدا))(١٠٣). ولا نريــد أن نقول إنّه تأثر بالجاحظ أو الآمدي أو السابقين ولكنه انتفع بجهودهم ولا شك بأنه قد أشار إلى ذلك غير مرة(١٠٤) فقال: ((قد اتضح اذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمة مفردة وان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلالها في ملائمة معنى اللفظــة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ))(١٠٥).

ولكن الذي سبقوه لم يبينوا ولم يوضحوا الصورة الجلية في مسألة نظرية النظم وانما اعطــوا رؤوس أقلام أو خطوطا عريضة تتبعها عبد القاهر بدقة وعناية ونادى بنظرية خاصة لها وادار بحوثه

البلاغية عليها في كتابه (دلائل الإعجاز) ودافع به عن رأيه دفاعا حادا مفندا آراء مخالفيه بالحجة والجدل مرة وبالازدراء والتهوين بآرائهم أخرى وخلاصة هذه النظرية عنده ((أن تفاضل الكلام وتفاوت درجته بحيث وصل إلى حد الإعجاز لا يرجع إلى ألفاظه المفردة ولا إلى معانيه وانما مرجعها إلى العلاقات النحوية وهيأة الترابط الواقع بين الكلمة والاخرى، والعلاقات النحوية التي فرضها الجرجاني هنا ليست بالمعنى المدروس في كتب النحو وتفصيلاتها من مسند أو مسند اليه ولكنها بمعنى اشمل يتسع لكل أساليب الكلام مع عرض المعاني المرادة في تقديم البعض على البعض الآخر. ومن حذف وعطف والتفريق بين أدوات العطف بالاستعمال بين اللفظة المفردة وقرينتها أو بين الجملة والجملة))(١٠٦).

فهو لا يرى أن وجه اعجاز القرآن البلاغي يكمن في ألفاظه منفردة عن نظمه الذي جاء به ولا في عبارته التي جاءت على وزن خاص اعجز العالمين ولا يراه في اقسام البيان من تشبيه أو استعارة أو مجاز أو كناية(١٠٧) ولا يراه في سلامته من تلاقي الحروف التي تثقل على اللسان(١٠٨). ولكنه يراه (في النظم والتأليف) لأن اقسام البيان كلها من مقتضيات النظم(١٠٩).

وعليه فقد رفض عبد القاهر الجرجاني مذهب القائلين بان القرآن معجز بالصرفة (١١٠)وعدّه من المذاهب التي لا يعتد بها ،وبهذه النظرية استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يحل مشكلة اللفظ والمعنى والتفضيل بينهما ونقل الخوض في اشكال الشعر وشواهده إلى الكلام في إعجاز القرآن وآياته. فاتخذت فكرة النظم من عبد القاهر إلى ما بعده ابرز وجهة من وجوه الإعجاز عند العلماء. فلقد جاء جار الله محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في آرائه البلاغية عيال على آراء عبد القاهر فقد ((استوعب كل ما كتبه عبد القاهر في الاسرار والدلائل معنى يطبقه تطبيقا دقيقا على آي الذكر الحكيم وكأنه لم يترك صغيره ولا كبيره من آراء عبد القاهر إلا ساق عليها الأمثلة النيرة من القرآن الكريم))(١١١).

ولم ياتِ الزملكاني (ت٦٥١هـ) بجديد في اعجاز القرآن واعتبر الإعجاز منحصرا في نظم القرآن المخصوص(١١٢).

وهكذا تبلورت آراء القدماء في النظرية التي صاغها عبد القاهر بكون اللفظ والمعنى صنوين لا يمكن فصل احدهما عن الآخر. ومن جاء بعد عبد القاهر سار على هذا المنوال بين شارح لنظريته وبين موسع لها بالأمثلة والتطور ((وهكذا كانت النظرة بالنسبة إلى النقاذ الغربيين فاذا استقبلنا النقاد العرب المعاصرين وجدنا الفكرة اعمق رسوخا، واصلب عودا، والنظرة افحص امعانا وأكثر ذيوعا، تارة بالاتحاد بينهما وأخرى بعدم الانفصال وثالثة بوحدة المؤدى بين الشكل والمحتوى))(١١٣).

نهاية المطاف:

بعد أن استعرضنا ملخصا لما وقفت عليه من آراء أولئك العلماء كان الفريق الرابع والذي صُبّ فيه آراء القدماء وتبلورت حوله قد اصبح المحطة الاخيرة للإعجاز القرآني من هذه الوجهة فقد ((جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النطق يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن. فلما جاء محمد صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه))(١١٤).

وانسجمت طبيعة البلاغة القرآنية وتكاملت ((بتكامل ابعادها بعدم تجزئة الآيات، وتعدي الفواصل، إذ الوحدة العضوية للنص الكريم مرساة ــ في أغلب الترجيح ــ على أصل حدده الله، وهذا الاصل هو الآية القرآنية من مبدأها إلى فاصلتها والحكم على جزء من هذه الوحدة تفكيك لتماسكها وفصم لقوتها التركيبية التي قام عليها نظام القرآن))(١١٥).

وهذا المعنى ــ بلاغة النظم ــ هو المؤشر الذي يوجد في جميع سور القرآن من اقصرها إلى اطولها. وبهذه النظرة يكون التحدي من الله تعالى للبشر بالإتيان بسورة من القرآن. مشمولا بهذا الوجه من الإعجاز.فبالقرآن اطناب وإيجاز وقصص وانباء وتكرار لمقاصده وبكل هذه لم يخرج عن ألفاظ العرب ولا عن معانيهم ولكنه يختلف عن كلامهم في الصناعة وفي السبك في الترابط والانسجام بين ألفاظه ومعانيه فلا ينفك احدهما عن الآخر. فقد انفرد بطريقة نظم لا يعرفها بليغ ولا يصل إلى كنهها أديب فاما ((أن يتهيأ لأحد من البلغاء في عصور العربية من معارض الكلام وألفاظه، ما يتصرف به هذا التصرف في طائفة أو طوائف من كلامه، على أن يضرب بلسانه ضربا موسيقيا، وينظم نظما مطردا ويهدف الكلمة للكلمة وينصب الحرف للحرف بالحركة، ويجري بعضا من بعض، فهذا إذ أمكن أن يكون في كلام ذي ألفاظ فليس يستقيم في ألفاظ ذات معانٍ فهو لغو في احدى الجهتين، ولو ذلك ممكن لقد اتفق في عصر خلا من أربعة عشر قرنا. ونحن اليوم في القرن الخامس عشر من تاريخ المعجزة))(١١٦).

وبهذا النوع من النظم ومن الإجادة بحسنه وبديع التأليف وعدم التفاوت والانحطاط وسباكة المعنى استطاع الاسلوب القرآني أن يؤثر تأثيرا بالغا في لسان بلغاء العرب حتى تعاب على الخطيب خطبته أن هي خلت من شيء من القرآن الكريم(١١٧).

ويطلقون على الخطبة التي لا تبدأ بالتحميد ولا تستفتح بالتمجيد بـ(البتراء)(١١٨) والتي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي بـ(الشوهاء)(١١٩). وعلى هذا وقفوا في وجه كل زيادة حاول إضافتها الاعداء اليه أو آية منه حاول بعضهم نسبتها اليه، لمعرفتهم بالقرآن ونظمه لأنه ليس من كلامهم ولا يمكن أن يتطرق اليه النقد.

فقد روي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ ((فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم)).

((فقال ما هذا؟ فقيل له: قرآن.

فقال: ما هذا بقرآن.

فتنبه القارئ فقال: ((والله عزيز حكيم)).

فقال الاعرابي: عزَّ فحكم فقطع (ولو غفر لما قطع)(١٢٠).

إذ لا يمكن إبدال كلمة من القرآن مكان كلمة أخرى لأنها تخرج النص عن دلالته فقد ((شهد التتبع الدقيق لمعجم ألفاظ القرآن واستقراء دلالاتها في سياقها أبان القرآن يستعمل اللفظ بدلالة محددة، لا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام آخر. في المعنى الواحد الذي تحشد له المعاجم اللغوية وكتب التفسير عددا قل أو كثر من الألفاظ المقول بترادفها))(١٢١)...

ونختم الكلام بالصلاة والسلام على سيد الانام محمد وآله وصحبه الكرام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وفقنا الله وإياكم لخدمة كتابه المجيد.

الهوامش :

(١) ابن رشيق القيرواني، العمدة:١١٦

(٢) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ: ١١.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، الرسالة الشافية: ١٠٨.

(٤) ينظر:الباقلاني، إعجاز القرآن: ٣٨.

(٥) فصلت: ٤٢..

(٦) ينظر: هاشم معروف الحسيني،بين التصوف والتشيع:٩٤ وما بعدها.

(٧) الاسراء: ١٥
(٨) ينظر: الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ٤٣ وما بعدها.
(٩) ينظر: السيوطي، الإتقان في علم القرآن: ٤/٣ وما بعدها.
(١٠) عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن دراسة كاشفة: ١٢٢ــ١٢٣.
(١١) المصدر نفسه: ١٩٤.
(١٢) المصدر نفسه: ١٩٤.
(١٣) المصدر نفسه: ١٩٨.
(١٤) الخوئي، البيان: ٥٧.
(١٥) ينظر: المصدر نفسه: ٧٢ وما بعدها.
(١٦) المصدر نفسه: ٨٠ــ٨١.
(١٧) الاسراء: ٨٩.
(١٨) الروم: ٢ــ٣.
(١٩) القمر: ٤٥.
(٢٠) ينظر: الخوئي، البيان:٨٤ وما بعدها.
(٢١) الحجر: ١٩.
(٢٢) الحجر: ٢٢.
(٢٣) عن دائرة معارف القرن العشرين: ٦٧٧/٧، المصنف الاول.
(٢٤) الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين: ٣٤٢ــ٣٥٣.
(٢٥) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن: ٦٤.
(٢٦) مصطفى صادق الرافعي، اعجاز القرآن: ١٥٥.
(٢٧) الاسراء: ٨٨.
(٢٨) الطور: ٣٤.
(٢٩) ينظر: كمال الدين الزملكاني، البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن: ٥٤ وما بعدها.
(٣٠) هود: ١٣.
(٣١) البقرة: ٢٣.
(٣٢) يونس: ٣٨.
(٣٣) ينظر: ابن عطية والغرناطي، مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٧ــ٢٧٨.
(٣٤) الخوئي، البيان: ٤٨ــ٤٩.
(٣٥) ينظر: ابن عطية والغرناطي، مقدمتان في علوم القرآن:٤٩.
(٣٦) الرافعي، اعجاز القرآن: ١٨٩.
(٣٧) الزمخشري، الكشاف ،تفسير سورة المدثر: ٦٤٩/٤.
(٣٨) الباقلاني، اعجاز القرآن: ١١٢.
(٣٩) الجرجاني، الرسالة الشافية: ١٠٨.
(٤٠) الرافعي، اعجاز القرآن: ١٩٢.
(٤١) مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في التفسير: ٢٠٢.
(٤٢) ينظر: أحمد أحمد بدوي، مقالات الاسلاميين: ٢٧١/١.
(٤٣) الرافعي، اعجاز القرآن/ ١٤٤.
(٤٤) ابن سنان الخفاجي،سر الفصاحة: ٤.
(٤٥) الرماني، النكت في اعجاز القرآن: ٦٩ وما بعدها.
(٤٦) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ٣٣.
(٤٧) ينظر: العسكري، الصناعتين: ٧.
(٤٨) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ٣١٦.
(٤٩) المصدر نفسه: ٣١٣.
(٥٠) د. محمد حسين الصغير، نظرية النقد العربي في ثلاثة محاور: ٤٤.
(٥١) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٤١.

(٥٢) عبد الهادي الفضلي، علم البلاغة العربية نشأته وتطوره: ١٣.
(٥٣) عبد الله سلوم، عمر ملا حويش، نصوص النظرية البلاغية: ٦٣.
(٥٤) المصدر نفسه: ٦٣.
(٥٥) الجاحظ، الحيوان: ١٦١/٣.
(٥٦) الجاحظ البيان والتبيين: ٧٥/١.
(٥٧) الجاحظ، الحيوان: ٣٦٦/٣.
(٥٨) عبد القادر حسين، اثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٤١.
(٥٩) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١٣٦/١وما بعدها.
(٦٠) ينظر: عبد القادر حسين، اثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٦١ــ٣٦٥؛ ينظر: مصطفى ناصيف، النظم في دلائل الإعجاز: ١٤؛ ينظر: احمد مطلوب، البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع: ٦٦ وما بعدها.
(٦١) العسكري، الصناعتين: ٦٣ــ٦٤.
(٦٢)المصدر نفسه: ٦٩.
(٦٣) ابن سينا الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٧٤.
(٦٤) ينظر في هذا: شوقي ضيف، البلاغة تاريخ وتطور: ٢٧ وما بعدها.
(٦٥) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٤٩.
(٦٦) عبد القادر حسين، اثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٤١.
(٦٧) جميل سعيد، ابن جني والجرجاني في دفاعهما عن المعنى، مستل من جملة المجمع العلمي العراقي.
(٦٨) ينظر: ابن جني، الخصائص: ٢١٥/١ــ٢٣٧.
(٦٩) جميل سعيد، ابن جني والجرجاني في دفاعهما عن المعنى.
(٧٠) ابن جني، الخصائص: ٢١٧/١.
(٧١) عبد القادر حسين، اثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٧٩.
(٧٢) ابن جني، الخصائص: ٢١٨/١.
(٧٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز: ١٩٩.
(٧٤) العسكري الصناعتين: ١٧٣.
(٧٥) الجاحظ، الحيوان: ٨٦/٣.
(٧٦) عبد الله سلوم وصاحبه، نصوص النظرية البلاغية: ٨١.
(٧٧) ينظر: محمد جابر الفياض، الامثال في القرآن الكريم، الباب الثاني، الفصل الثالث.
(٧٨) د. محمد حسين الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني: ١١٥.
(٧٩) المصدر نفسه: ١٣٠.
(٨٠) ينظر: د. محمد حسين الصغير، نظرية النقد العربي في ثلاثة محاور:
(٨١) حاتم الضامن، نظرية النظم: ٣٦.
(٨٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٣ــ٤.
(٨٣) الصغير، ثلاثة محاور: ٥٠.
(٨٤) القيرواني، العمدة: ١٢٤/١.
(٨٥) الرماني، النكت في اعجاز القرآن: ٦٩.
(٨٦) ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٨ وما بعدها.
(٨٧) الكهف: ٥٤.
(٨٨) الطور: ١٥.
(٨٩) ابن عطية وصاحبه، مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٨.
(٩٠) الصغير، الصورة الفنية: ٣٥.
(٩١) الصغير، الصورة الفنية: ٣٧.
(٩٢) الضامن، نظرية النظم: ٦٩.
(٩٣) ينظر: احمد مطلوب، البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع: ٦٥ وما بعدها.
(٩٤) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي: ١١٣.

(٩٥) ينظر: محمد حسنين موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٩٣؛ كذلك فتحي احمد عامر، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن: ٥٣؛ كذلك مصطفى ناصف، النظم في دلائل الإعجاز: ١٤.
(٩٦) الجاحظ، الحيوان: ٩٠/٤.
(٩٧) احمد مطلوب البلاغة العربية: ٦٦ــ٦٧، ينظر: عبد القادر حسين،أثر النحاة في البحث البلاغي:٢١٨.
(٩٨) الرماني، النكت في اعجاز القرآن: ٧٦ وما بعدها.
(٩٩) الخطابي بيان اعجاز القرآن: ٢٤ــ٢٥.
(١٠٠) العسكري، الصناعتين: ١٦٧ وما بعدها.
(١٠١) داود سلوم وعمر ملا حويش، نصوص النظرية البلاغية: ١٢٦.
(١٠٢) احمد مطلوب، البلاغة العربية: ٦٨.
(١٠٣) عبد القادر حسين، اثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٦١.
(١٠٤) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٢٤٢ وما بعدها.
(١٠٥) الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٤٢ــ٤٣.
(١٠٦) المصدر نفسه: ٢٩٤ــ٢٩٥.
(١٠٧) المصدر نفسه : ٢٩٩.
(١٠٨) المصدر نفسه: ٣٦٤.
(١٠٩) المصدر نفسه: ٣٠٠.
(١١٠) ينظر: المصدر نفسه:٣٦٥، ٣٩٨.
(١١١) مقدمة تفسير الكشاف:
(١١٢) ينظر: الزملكاني، البرهان في اعجاز القرآن: ٥٤ وما بعدها.
(١١٣) الصغير، نظرية النقد العربي في ثلاثة محاور متطورة: ٥٩.
(١١٤) ابن عطية والغرناطي، مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٨.
(١١٥) الصغير، الصورة الفنية: ١١٧.
(١١٦) الرافعي، اعجاز القرآن: ٢٢٩.
(١١٧) الجاحظ، البيان والتبيين:١١٨/١.
(١١٨) المصدر نفسه: ٦/٢.
(١١٩) المصدر نفسه: ٦/٢.
(١٢٠) ابن عطية والغرناطي، مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٨.
(١٢١) بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم: ٥/١.

المصادر:

❖ خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

١. احمد مطلوب،(الدكتور)، البلاغة العربية،المعاني والبيان والبديع، ط١، مؤسسة دار الكتب، بغداد، (١٩٨٠م).
٢. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، ط٣، مؤسسة الخانجي، القاهرة.
٣. الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
٤. الجرجاني، الامام عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح: محمد رشيد رضا، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، (١٩٦١م).
٥. جميل سعيد،(الدكتور)، ابن جني والجرجاني ودفاعهما عن المعنى مستل من مجلة المجمع العلمي العراقي.
٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د٠ت).
٧. حاتم صالح الضامن،(الدكتور)، نظرية النظم تاريخ وتطور، سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم: ٤٧ ايلول (١٩٧٩م)، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، بغداد.
٨. الخفاجي، الامير أبو محمد بن محمد بن سعيد بن سنان، سر الفصاحة شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، مصر (١٩٦٩م).

٩. الخوئي، الامام أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، ط٤، دار التوحيد، الكويت، (١٩٧٩م).
١٠. داود سلوم، الدكتور وعمر ملا حويش، الدكتور، نصوص النظرية البلاغية، مطبعة الامة، بغداد (١٩٧٧م).
١١. الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٩، دار الكتاب العربي، بيروت (١٩٧٣م).
١٢. الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (بدون سنة طبع).
١٣. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر (١٩٤٨م).
١٤. الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم: البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن، تحقيق: الدكتورة خديجة الحديثي والدكتور احمد مطلوب، ط١، مطبعة العاني، بغداد (١٩٧٤م).
١٥. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة (بدون سنة طبع).
١٦. بنت الشاطئ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط٢، دار المعارف، مصر (١٩٦٦م).
١٧. شوقي ضيف،(الدكتور)، البلاغة تطور وتاريخ، ط٦، دار المعارف، مصر.
١٨. صبحي الصالح،(الدكتور)، مباحث في علوم القرآن، ط١٣، دار العلم للملايين (١٩٨١م).
١٩. عبد الكريم الخطايب، اعجاز القرآن، ط٢، دار المعرفة، بيروت (١٩٧٥م).
٢٠. عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين، ط٢، دار المعرفة، بيروت (١٩٧٥م).
٢١. عبد القادر حسين،(الدكتور)، اثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر، القاهرة (١٩٧٥م).
٢٢. عبد الهادي الفضلي،(الدكتور)، علم البلاغة العربية نشأته وتطوره مستل من مجلة النجف، مطبعة الآداب النجف (من دون سنة طبع).
٢٣. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر (من دون سنة طبع).
٢٤. ابن عطية وعبد الحق الغرناطي، مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق: ارثر جفري، مطبعة دار الصاوي، مصر (١٩٧٢م).
٢٥. فتحي احمد عامر،(الدكتور)، فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة (١٩٧٥م).
٢٦. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ط١، عالم الكتب، بيروت (١٢٨٢هـ).
٢٧. القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق الازدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت (١٩٧٢م).
٢٨. محمد جابر الفياض،الأمثال في القرآن الكريم(من دون مطبعة ولا سنة طبع).
٢٩. محمد حسنين موسى(الدكتور)،البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري واثرها في الدراسات البلاغية، دار الحمامي (من دون سنة ولا مكان طبع).
٣٠. محمد حسين علي الصغير(الدكتور)، الصورة الفنية في المثل القرآني، طبع وزارة الثقافة والاعلام العراقية، بغداد (١٩٨١م).
٣١. محمد حسين الصغير، نظرية النقد العربي في ثلاثة محاور منظورة سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم ٢٢٤ لسنة (١٩٨٦م).
٣٢. مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن، دار المعارف، مصر: (١٩٥٩م).
٣٣. مصطفى ناصف، النظم في دلائل الاعجاز(من دون مطبعة ولا سنة طبع).
٣٤. هاشم معروف الحسيني،بين التصوف، والتشيع،دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.